حولية الكوفة

دورية سنوية، تعنى بالدراسات والبحوث التراثية والمعاصرة المتخصصة بشؤون مدينة الكوفة ومسجدها المعظم
تصدر عن أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به . العدد السادس . شهر شوال . ١٤٣٧ هـ / تموز . ٢٠١٦ م

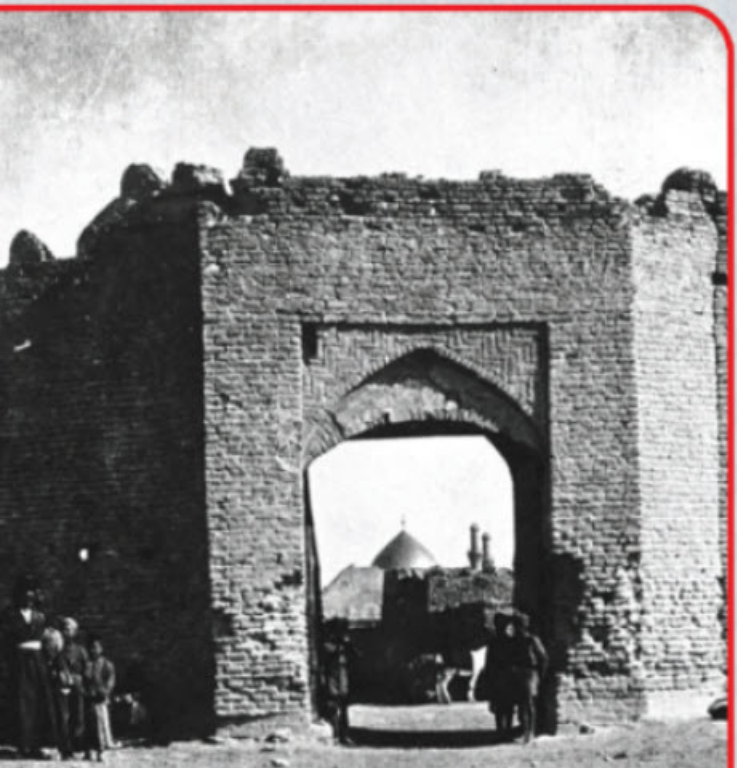

عدد ممتاز

بمناسبة ختام فعاليات عام الامام علي (عليه السلام)

٦

ديوان الوقف الشيعي
أمانة مسجد الكوفة
والمزارات الملحقة به

رئيس التحرير
د. كامل سلمان
الجبوري

الأداء البلاغي عند فقهاء الكوفة في القرن الأول الهجري الإمام الحسن (عليه السلام) أنموذجاً

الأستاذ المساعد الدكتور حسين لفته حافظ

مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين محمد الأمين وآل بيته الطيبين الطاهرين وبعد...

اشتمل كلام الإمام الحسن (عليه السلام) على معانٍ وقيم أخلاقيّة رفيعة أبهرت المتلقين له قديما وحديثا، وذلك لما يحتويه من روائع الحكم الفريدة من البلاغة العربية، ومضامين سامية قيّمة قدّمت زادا وفيرا استفادت منه الأجيال على مرِّ السنين والعصور، فهو كلام يصلح لكل عصر وزمان، لسبب بسيط أنّ اغلب هذا الكلام يستنبط معانيه من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، لأنّ صاحبه سليل هذه الدوحة المباركة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء، وقد لفت انتباهي كثرة الأساليب البلاغيّة التي ينطوي عليها كلام الإمام (عليه السلام) مما دفعني إلى جمعها وتقسيمها بحسب الفن البلاغي الذي تنتمي إليه وفق المنهج الفني التحليلي، ومحاولة الاستفادة من الدراسات التي سبقتني في هذا الباب، من هنا انقسم البحث على تمهيد وثلاثة مباحث، تناولت في التمهيد تأثير بلاغة الإمام الحسن (عليه السلام) في الموروث الأدبي من خلال تتبع الإشارات التي وردت عند الدارسين القدامى والمتعلقة بكلام الإمام الحسن (عليه السلام).

وقد اقتضت طبيعة المادة أنْ نضع تمهيدا يتناول الروافد الثقافية التي شكلت بلاغة الإمام (عليه السلام) وثلاثة مباحث، تناول المبحث الأول المعاني البلاغية المتجددة في كلامه الشريف، وتناول المبحث الثاني الدراسة الفنية ومن ضمنها مجموعة ظواهر كالتناص القرآني والتوظيف البياني للصور الفنيّة في كلامه الشريف، وأساليب المعاني وعلاقتها بالدلالة في كلامه (عليه السلام)، والتوظيف الفني لأساليب البديع وعلاقتها بمعنى النص وأخيرا جاءت الخاتمة لتلخص أهم نتائج البحث وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

التمهيد: الإمام الحسن (عليه السلام) والروافد الثقافيّة التي شكلت بلاغته

ا- شذرات من حياة الإمام الحسن بن علي المجتبى (عليه السلام)(ت50هـ):

ولد الإمام الحسن (عليه السلام) بالمدينة، السنة الثالثة من الهجرة، وقيل السنة الثانية من الهجرة، سمّاه رسول الله (صلى الله عليه وآله) حسنا، وكنيته أبو محمّد، أمّه فاطمة سيدة النساء (عليها السلام)، وأبوه أمير المؤمنين (عليه السلام)، وفضائله ومناقبه كثيرة، منها: ما ذكره جابر قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): "من سرّه أن ينظر إلى سيّد شباب الجنة، فلينظر إلى الحسن بن علي"[1].

وما رواه إبراهيم بن علي الرافعي عن أبيه، عن جدته زينب بنت أبي رافع قالت: أتت فاطمة (عليها السلام) بابنيها الحسن والحسين (عليهما السلام) إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) في شكواه، التي توفي فيها فقالت: "يا رسول الله، هذان ابناك فورّثهما شيئا". فقال: "أمّا الحسن فإن له هيبتي وسؤددي،وأمّا الحسين فإن له جودي وشجاعتي"[2].

---

(1) مناقب ابن شهر آشوب: 20/4، ترجمة الإمام الحسن عليه السلام من تاريخ دمشق: 78 /136.

(2) ترجمة الإمام الحسن عليه السلام: 197/123، أسد الغابة: 467/5، الإصابة: 316/4.

شمائله ونقش خاتمه:

روى الصدوق بإسناده عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) في حديث طويل: وكان نقش خاتم الحسن بن علي (عليهما السلام): العزّة لله[1].

قال الفتال النيسابوري: أن الحسن (عليه السلام) يشبه النبي (صلى الله عليه وآله) من صدره إلى رجليه والحسين (عليه السلام) من صدره إلى رأسه وكانا (عليهما السلام) حبيبي رسول الله (صلى الله عليه وآله)[2].

النص على إمامته:

وردت روايات كثيرة تنص على إمامة الحسن (عليه السلام) ومنها ما أورده صاحب الكافي عن سليم بن قيس قال: شهدت وصية أمير المؤمنين (عليه السلام) حين أوصى إلى ابنه الحسن (عليه السلام) واشهد على وصيته الحسين (عليه السلام) ومحمدا وجميع ولده ورؤساء شيعته وأهل بيته ثم دفع إليه الكتاب والسلاح وقال لابنه الحسن (عليه السلام): **"يا بني أمرني رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن أوصي إليك كتبي وسلاحي كما أوصى إليَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ودفع إليَّ كتبه وسلاحه، وأمرني أن آمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين (عليه السلام)"**[3].

أثر شخصيته في الموروث:

امتد تأثير شخصية الإمام (عليه السلام) في الموروث العربي القديم حتى أنَّ اغلب المؤلفين، استفادوا من نصائحه القيمة في مجال حسن السلوك والآداب العامة فقد روى لنا صاحب كتاب (آداب الأكل) عن الإمام الحسن قوله:

"الطعام أصون من أنْ يحلف عليه فينبغي لداعي الضيف أنْ لا يقسم عليه بالله بل يتلطف بقوله ائتني تجبر ونحو ذلك وإذا رآه مقصرا في الأكل كرر عليه العزيمة ولا يزد على قوله كل ثلاث مرات"[4].

فالكاتب هنا يقدم صورة من صور الأدب التي تقتضي احترام اسم الله سبحانه وتعالى لأنه عظيم فينبغي احترامه.

ومن الأمثلة الأخرى التي تدلل على أهمية وصايا الإمام الحسن ما أورده صاحب (البصائر والذخائر) أنَّ الإمام الحسن قال: **"ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها" قال: لا تصلها رياءً ولا تدعها حياءً، هذه إشارةٌ مليحة**[5].

أما الجاحظ فقد كان من أشدّ المعجبين بكلام الإمام الحسن وقد تنوعت إشاراته إلى ذلك الكلام البليغ الذي يصدر من الإمام ومن الأمثلة على ذلك قوله في الرسائل: **"وكان الحسن يقول: قد يكون الرجل عالما وليس بعابد، وعابدا وليس بعالم، وعابدا وليس بعاقل، وعاقلا وليس بعابد"**[6].

ومن الجدير بالذكر أن تأثير شخصية الإمام الحسن امتد ليصل إلى الدراسات الاستشراقية فقد كتبت المستشرقة الإيطالية فاجيلري في دائرة المعارف الإسلامية في طبعتها الثانية تحت عنوان (الحسن بن علي بن أبي طالب) فقد حددت هذه الباحثة موقع الإمام في نظر الشيعة الإمامية على انه الإمام الثاني، وقد تحدثت عن سنواته الأولى واختيار رسول الله اسمه، وان رسول الله كان يحبه كثيرا[7].

ب- الروافد الثقافية:

تنوعت الروافد الثقافية التي غذت شخصية الإمام (عليه السلام)، ويلاحظ المتتبع لكلامه الشريف اثر تلك الروافد وخاصة الرافد الديني المتمثل في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف فضلاً عن البيئة الأسرية الدينية التي نشأ الإمام في ربوعها، ونهل من معينها الذي لا ينضب أبداً لأنه مرتبط بالسماء، وسنحاول في النقاط الآتية تسليط الضوء على تلك الروافد.

أولا: القرآن الكريم:

يلاحظ المتتبع لكلام أهل البيت (عليهم السلام) أنّهم قد وظفوا النص القرآني في كلامهم، وهذه المسألة بدأت منذ نزول القرآن الكريم إذ نجد أن الإمام علياً (عليه السلام) قد استفاد كثيرا من النص القرآني في كلامه ومن يراجع نهج البلاغة يجد مصداق هذا الكلام واضحا بينا، وهنا علينا أنْ ننتبه إلى مسالة مهمة وهي أنَّ طريقة الاستفادة من القران الكريم تحتاج إلى مهارة خاصة وقدرة في البيان تلك القدرة غير متوفرة لأي شخص كان، خاصة وان التعامل يكون مع نص إلهي معجز أفحم بلغاء العرب وساداتهم آنذاك، إلا أن المعصومين ومنهم الإمام الحسن (عليه السلام) استطاع ببصيرته النافذة أن يوظف الآيات القرآنية خير توظيف، فيأتي النص منسجما مع فحوى الكلام، حتى يعبر أجمل تعبير عن مضمون النص، ومن ثم يعطي صورة كاملة للمتلقي عن الغاية والمراد من هذا التوظيف، ومن الجدير بالذكر أن إشكال هذا التوظيف اختلفت من نص إلى آخر بحسب الغاية والمراد من النص، فمرة نجد الإمام يوظف آية كاملة ومرة جزءاً من آية ومرة أخرى يوظف كلمة قرآنية، وهو مدار هذا البحث أن يبحث في طريقة استفادة الإمام (عليه السلام)

(1) ينظر عيون الأخبار: 56/2.
(2) ينظر: روضة الواعظين: 142.
(3) الكافي: 297/1.
(4) آداب الاكل: الأقفهسي: 2
(5) البصائر والذخائر: 350/1
(6) رسائل الجاحظ: 135/3
(7) التشيع والاستشراق: 376.

من النص القرآني واثر هذا الاستعمال في مضمون النص وفق منهج فني يتعامل مع النص من خلال السياق الذي وردت فيه النصوص، ومن كلام له مخاطبا به أخاه الحسين (عليه السلام) في قوله: "**يا أخاه لا تحزن عليّ فإن مصابك أعظم من مصيبتي ورزءك أعظم من رزئي. فإنّك تقتل - يا أبا عبد الله الحسين - بشطّ الفرات بأرض كربلاء عطشاناً لهيفاً وحيداً فريداً مذبوحاً يعلو صدرك أشقى الأمّة، ويحمحم فرسك ويقول في تحمحمه: الظليمة الظليمة من أمّة قتلت ابن بنت نبيّها، وتسبى حريمك ويتيّم أطفالك، ويسيّرون حريمك على الأقتاب بغير وطاء ولا فراش، ويحمل رأسك يا أخي على رأس القنا، بعد أنْ تقتل ويقتل أنصارك، فيا ليتني كنت عندك أذبّ عنك كما يذبّ عنك أنصارك بقتل الأعداء، ولكنّ هذا الأمر يكون وأنت وحيد لا ناصر لك منا، ولكن لكلّ أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أمّ الكتاب، فعليك يا أخي بالصبر على البلاء حتّى تلحق بنا**"[1].

نلاحظ أن الإمام في هذا القول ضمّن قوله تعالى:

﴿يَمْحُو اللهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ﴾[2].

قال الرازي (ت 608 هـ): إن في هذه الآية قولين: القول الأول: إنها عامة في كل شيء كما يقتضيه ظاهر اللفظ قالوا: إن الله يمحو من الرزق ويزيد فيه، وكذا القول في الأجل والسعادة والشقاوة والإيمان والكفر وهو مذهب عمر وابن مسعود، والقائلون بهذا القول كانوا يدعون ويتضرعون إلى الله تعالى في أن يجعلهم سعداء لا أشقياء. وهذا التأويل رواه جابر عن رسول الله (صلى الله عليه وآله).

والقول الثاني: إن هذه الآية خاصة في بعض الأشقياء دون البعض. ثم قال: فإن قال قائل: ألستم تزعمون أن المقادير سابقة قد جف بها القلم وليس الأمر بآنف، فكيف يستقيم مع هذا المعنى، المحو والإثبات؟ قلنا: ذلك المحو والإثبات أيضا مما جف به القلم، فلأنه لا يمحو إلا ما سبق في علمه وقضائه محوه[3].

ثانيا: الحديث النبوي الشريف:

ساهم الحديث النبوي الشريف في إغناء ثقافة الإمام الحسن (عليه السلام) مما انعكس إيجابا على ذوقه الفني وبلاغته الأدبية في التعامل مع النصوص، إذ أنّه استفاد من الديباجة المشرقة التي عرف بها الحديث النبوي الشريف فضلا عن الجدّة والابتكار في عرض المعاني ودلالتها النفسيّة والاجتماعيّة على سلوك أفراد المجتمع خاصة ومع قرب عهد التغير الذي شهدته البلاد الإسلامية فقد وصف الجاحظ كلام النبي بقوله: "**«لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً، ولا أقصد لفظاً، ولا أعدل وزناً، ولا أجمل مذهباً، ولا أكرم مطلباً، ولا أحسن موقعاً، ولا أسهل مخرجاً، ولا أفصح معنى، ولا أبين في فحوى، من كلامه (صلى الله عليه وآله) كثيراً»**"[4].

ومن الأمثلة على استفادة الإمام من الحديث النبوي الشريف انه قد صاغ (عليه السلام) بعض عباراته الخطابية ممتزجةً بالألفاظ النبوية وذائبة في بنية النص وهذا ما نجده في خطبة التوحيد التي يصف فيها قدرة الخالق وبعدها يقول: «..... **فإنّ علياً بابُ مَنْ دخله كان مؤمناً ومن خرج منه كان كافراً أقولُ قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم**»[5].

نلمح في قوله (عليه السلام) (أنّ علياً باب من دخله كان مؤمنا ومن خرج منه كان كافراً) إشارة إلى الحديث النبوي الشريف الذي يقول «أنا مدينة العلم وعليّ بابها، وهل تُدْخَلُ المدينةُ إلا من بابها»[6].

ثالثا: الشعر العربي القديم:

عرف عن الإمام الحسن (عليه السلام) تذوقه وإعجابه بالشعر الجيد الذي يحوى على فنون بلاغيّة فضلا عن معانيه السامية، ولم يقتصر الأمر على التذوق الجمالي إنما تعداه إلى نظم الشعر في مواقف مهمة منها قول الإمام الحسن (عليه السلام) في معاوية بن أبي سفيان:

أ تـــامرُ يـــا مُعَـــاوِي عبـــدَ ســـهمٍ
بـــشتمِي وَ المـــلأُ مِنّـــا شُهُـــودُ
إذَا أخَـــذَت مجالـــسَهَا قُريـــش
فَقَـــد عَلِمَـــت قـــريش مَـــا تُريـــدُ
أ أنـــتَ تظـــلّ تـــشتمني سفَاهَـــا
لـــضغنٍ مَـــا يـــزُول وَمَـــا يبيـــدُ
فَهَـــل لـــكَ مِـــن أبٍ كـــأبِي تـــسامٍي
بـــه مَـــن تـــسامَى أو تكيـــدُ

(1) الكافي ج 1 - ص 301 - 302
(2) سورة الرعد: آية 39
(3) تفسير الرازي 10: 64 - 65
(4) البيان والتبيين: 2/17-18.
(5) تفسير فرات الكوفي: 79، وينظر ترجمة الإمام الحسن (عليه السلام): 145 - 146، بحار الأنوار: 43/351. والتصوير الفني في خطب الإمام الحسن: 41
(6) سنن الترمذي (الجامع الصحيح) - لأبي عيسى محمد بن سورة الترمذي (ت297هـ) - تح - محمود حسن نصار - منشورات محمد علي بيضون - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط 1 - 1421 هـ: 980.

وَلا جـدّ كجـدّي يَـا بـنَ حـربٍ
رسـولِ اللهِ إن ذُكـرَ الجـدُودُ
وَ لا أمّ كـأمِي مِـن قُريـشٍ
إذَا مَـا حـصلَ الحَـسبُ التليـدُ
فَمَـا مثلِـي تهكـم يَـا بـنَ حـربٍ
وَلا مثلِـي ينهنهـه الوعيـدُ
فمهـلاً لا تهـجّ منّـا أمـوراً[1]
يـشيبُ لِهولِهـا الطفـلُ الوليـدُ

ومن الأمور التي تدلل على عناية الإمام (عليه السلام) بالشعر وجعله رافدا ثقافيا مهما، استشهاده ببعض الأبيات الشعرية وفي مواقف معينة منها قوله موجها خطابه إلى معاوية:

"أتنسى يا معاوية الشعر الذي كتبته إلى أبيك لما همّ أن يسلم، تنهاه عن ذلك:

يـا صـخرُ لا تُـسلمنْ يومـا فتفـضحنا
بعـد الـذين ببـدر أصـبحوا مزقـا
خـالي وعمـي وعـمّ الأم ثالثهـم
وحنظـلُ الخيـرُ قـد أهـدى لنـا الأرقـا
لا تـركننَّ إلـى أمـر تكلّفنـا
والراقصات بـه فـي مكـة الخـرقـا
فـالموتُ أهـونُ مـن قـول العـداةِ لقـد
حاد ابـن حـربٍ عـن العـزى إذا فرقـا[2]

ويظهر من الأبيات أن معاوية لم يكن في الجاهليّة بدعا عن أبويه وذويه في حروبهم لرسول الله (صلى الله عليه وآله) والمسلمين.

رابعاً: النصوص النثريّة البليغة:

اهتم أهل البيت بالنصوص النثرية البليغة التي كانت سائدة في تلك العصور خاصة وان هذا النثر، بفنونه المختلفة تغلب عليه العناية والتجويد، والبعد، ما أمكن، عن الهلهلة والضعف. فيأتي مرسلاً طبيعياً تارة، ومتكلفاً محلى بالسجع والتصوير البياني تارة أخرى، بحسب الفن النثري من جهة، وبحسب الحال والمقام من جهة ثانية، رغبة في تحقيق الإمتاع، أو التأثير والإقناع لدى السامع، والنفوذ إلى مكامن نفسه. ومعنى ذلك أنهم كانوا يتخيرون الكلام ويحرصون على القوة والجزالة، والتنغيم الموسيقي بين الجمل إذا احتاجوا إلى ذلك ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في كلام الإمام (عليه السلام): «.... **لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه، وقد خلت لهم من الله سنة ومضى فيهم من الله حكم إن في ذلك لذكرى للذاكرين واعقلوه إذا سمعتموه عقل رعاية ولا تعقله عقل رواية، فانّ رواة الكتاب كثير ورعاته قليل والله المستعان**»[3].

في النص تضمين لقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في خطبته التي يقول فيها: «.....**اعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية فانّ رواة العلم كثير ورعاته قليل...**»[4].

فادبه ليس تملقا لجمال، ولا ادعاءاً لجمال، وإنما هو صرخات تنطلق من قلب عبقري، نفذ إلى أغوار الأشياء، حتى عرف ما تباين منها، ثابتا على قاعدة واحدة، وما اختلف منها، نابعاً من أصل واحد، وما تفرق منها مضموماً برباط واحد.

وبذلك الفكر الشامل، وهذا الأدب العميق، خرج إلى الناس يدوّي بصوته، ليلهم الأجيال هذا التناسق الجمالي، الذي يجمع الكون وما وراء الكون، في وحدة متداعمة، طرفاها الأزل والأبد، وإبعادها كل ما خلق الله عز وجل.

المبحث الأول

المعاني البلاغية المتجددة في كلامه الشريف

ينطوي كلام الإمام الحسن (عليه السلام) على معانٍ بلاغية مؤثرة جاءت من قوة المضمون الذي عالج فيه الإمام (عليه السلام) مسائل متعددة منها ما يتعلق بعلاقة العبد بربّه ومنها ما يتعلق بتنظيم شؤون الأفراد في المجتمع الذي يعيشون فيه وما بات يعرف بالقيم التربوية والأخلاق الفاضلة التي يجب أن يتحلى بها المسلم، الذي يجب عليه أن يكون على قدر عال من المسؤولية.

أن من يتتبع أحاديث العترة النبوية الطاهرة يجدها تسير جنباً إلى جنب مع القرآن، تتمسك بآياته، وتستدل بإشاراته، كما أن القرآن الكريم نفسه يشيد بمواقفهم وأقوالهم (عليهم السلام)؛ إذ وصفهم بالطهارة من الرجس المعنوي والمادي ذلك الوصف المؤكد الذي يقتضي تنزيههم عن أي خطأ وخطل، ومخالفة للكتاب، بل يقتضي كونهم مع القرآن في هدف واحد وعلى جاده واحدة، ولا غرابه إذا قيل: إنهم (عليهم السلام) ورثوا الكتاب

(1) ينظر المحاسن والأضداد: 226.والمحاسن والمساوئ:174.

(2) شرح نهج البلاغة: 6/ 289 – 294، وينظر جمهرة خطب العرب:24/2.

(3) تحف العقول عن آل الرسول: 227، وينظر بحار الأنوار: 104/75 – 105.

(4) نهج البلاغة: 22/4، خصائص الأئمة (عليهم السلام) – لأبي الحسن محمد بن الحسين بن موسى الشريف الرضي (ت 406 هـ) – تح – محمد هادي الأمين – 1406 هـ – مشهد – إيران:7/7.

وعلمه وفهمه وفقه أسراره ومقاصده وأبعاده وبطونه دون غيرهم، فذلك أمرٌ قد جرى بعض منه فيه الأنبياء السابقين وأوصيائهم كما يصرح القرآن الكريم بذلك.

وقد صرح أئمة أهل البيت المطهرون (عليهم السلام) بهذا الأمر في تصريحات مستقلة، مثلما روي عن الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) إذ قال: «نحن الذين اصطفانا الله عز وجل، وأورثنا هذا الذي فيه تبيان كل شيء»[1].

ا- توحيد الله عزّ وجلّ:

لعل مسالة توحيد الله سبحانه وتعالى من الامور المهمة جدا، وقد اعتنى الإمام الحسن (عليه السلام) بها وخصص لها حيزا كبيرا من كلامه الشريف فقد ورد عنه قوله:

"الحمدُ لله الواحد بغير تَشبيه الدائم بغير تكوين القائم بغير كلفة الخالق بغير منصبة الموصوف بغير غاية المعْروف بغير محدودية العزيز لم يزلْ قديماً في القدم رُدعتْ القلوبُ لهيبَته وذُهلت العقولُ لعزته وخضعت الرقابُ لقدرته فليس يخطرُ على قلب بشرٍ مبلغُ جبروته ولا يبلغُ الناسُ كنهَ جلاله ولا يفصحُ الواصفون منهم لكُنْه عظمته و لا تبلغُهُ العلماءُ بألبابها ولا أهلُ التفكر بتدبير أمورها أعلمُ خلقه به الذي بالحدِّ لا يصفهُ يُدركُ الأبصارَ ولا تدركه الأبصارُ وَهُو اللطيفُ الخبير.امَّا بعدُ فإنّ علياً بابٌ من دخله كان مؤمنا ومن خرج منه كان كافراً أقولُ قولي هذا واستغفر اللهَ العظيمَ لي ولكم"[2].

وكلام الإمام الحسن (عليه السلام) مصداق لقوله تعالى ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾ أي لو كان فيهما "أي: في السموات والأرض "آلهة إلا الله لفسدتا" في ذاتهما، وفسد من فيهما، من المخلوقات. وبيان ذلك: أن العالم العلوي والسفلي، على ما يرى، في أكمل ما يكون من الصلاح والانتظام، الذي ما فيه خلل ولا عيب، ولا ممانعة، ولا معارضة، فدل ذلك على أن مدبره واحد، وربه واحد، وإلهه واحد، فلو كان له مدبران وربان أو أكثر من ذلك، لاختل نظامه، وتقوضت أركانه، فإنهما يتمانعان ويتعارضان، وإذا أراد أحدهما تدبير شيء، وأراد الآخر عدمه، فإنه محال وجود مرادهما معا. ووجود مراد أحدهما دون الآخر، يدل على عجز الآخر، وعدم اقتداره واتفاقهما على مراد واحد في جميع الأمور، غير ممكن. فإذا، يتعين أن القاهر الذي يوجد مراده وحده، من غير ممانع ولا مدافع، هو الله الواحد القهار[3].

ب - خشية الله سبحانه وتعالى:

أكّد أهل البيت (عليهم السلام) على خشية الله وان تكون هذه الخشية من الله سبحانه ومن عظمته وكبريائه، وهذا هو المسمى بالخشية والرهبة في عرف أرباب القلوب، وكلما ازدادت المعرفة بجلال الله وعظمته وتعاليه ومعرفة العبد بعيوب نفسه وجناياته، ازداد الخوف، إذ أدرك القدرة القاهرة والعظمة الباهرة والقوة القوية والعزة الشديدة، يوجب الاضطراب والدهشة، ولا ريب في أن عظمة الله وقدرته وسائر صفاته الجلالية والجمالية غير متناهية شدة وقوة ويظهر منها على كل نفس ما يطيقه ويستعد له. وأنّى لأحد من أولي المدارك أنْ يحيط بصفاته على ما هي عليه، فان المدارك عن إدراك غير المتناهي قاصرة[4] ومن النصوص التي وردت عن الإمام الحسن (عليه السلام) في هذا المعنى قوله:

«أيّها الناس إنّه مَنْ نصحَ لله وأخذَ قوله دليلاً هُدي للتي هي أقوم ووفقه الله للرشاد وسدده للحسنى، فأنّ جار الله آمن محفوظ وعدوّه خائف مخذول، فاحترسوا من الله بكثرة الذكر، واخشوا الله بالتقوى، وتقربوا إلى الله بالطاعة فإنّه قريب مجيب قال تعالى ﴿وَإِذا سَأَلَكَ عبادي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذا دَعانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[5] فاستجيبوا لله وآمنوا به، فانّه لا ينبغي لمن عرف عظمة الله أنْ يتعاظم فأنّ رفعة الذين يعلمون عظمة الله أنْ يتواضعوا، والذين يعرفون ما جلال الله أنْ يتذللوا، وسلامة الذين يعلمون ما قدرة الله أنْ يستسلموا له، ولا ينكرون أنفسهم بعد المعرفة ولا يضلون بعد الهدى، واعلموا علماً يقيناً أنكم لن تعرفوا التقى حتى تعرفوا صفة الهدى»[6].

ج- ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام):

يعد الحديث عن ولاية الإمام علي (عليه السلام) من الأمور التي أكدّ عليها آل البيت سلام الله عليهم ولعل علماء المذهب الإمامي أفاضوا القول فيها وحللوا النصوص المقدسة التي وردت بهذا الشأن والعلامة السيد الشيرازي يقول في هذا العنوان (أينما ورد ذكر إتمام النعمة في القرآن الكريم كان المراد منها النعم التي يصيبها الإنسان في الدنيا، ومن هنا توجد علاقة مباشرة بين ولاية أمير المؤمنين علي سلام الله عليه والتمتع بالنعم

(1) أصول الكافي: 1، 226

(2) الروائع المختارة في خطب الإمام الحسن (عليه السلام) وكتبه ورسائله وكلماته القصار – محسن مصطفى الموسوي (ت معاصر)- الناشر دار العلم القاهرة – ط 1-1975م:7.

(3) ينظر تفسير الطبري 3: 22، وتفسير الطبري 2: 126

(4) ينظر جامع السعادات: 1/ 124

(5) البقرة: 186

(6) البحار ج17 ص203-204.

الدنيوية، وأحد الشروط المهمة الرئيسية للوصول بنا إلى مجتمع الحرية والبناء القائم على أساس العدالة والأخلاق وسيادة القيم والفضائل الأخلاقية الإنسانية... أن نسلّم لما بلّغ به رسول الله (ﷺ) في يوم الغدير، وأن نقبل عمليا بولاية أمير المؤمنين علي سلام الله عليه بعبارة أخرى)[1] ومن الأحاديث الواردة عن الإمام الحسن (عليه السلام) قوله:

«إما بعد، فإني لا أقول لكم إلا ما تعرفون، إنّ أميرَ المؤمنين عليَّ بنَ أبي طالب، أرشد اللهُ أمرَه،وأعزّ نصرَه، بعثني إليكم يدعوكم إلى الصواب، وإلى العمل بالكتاب والجهاد في سبيل الله، وإن كان في عاجل ذلك ما تكرهون، فإنّ في أجلَه ما تحبّون إنْ شاءَ اللهُ.ولقد علمتم أنّ علياً صلّى مع رسول الله (ﷺ) وحدَه، وإنّه يوَم صدّق به لفي عاشرة من سنّه،ثم شهد مع رسول الله(ﷺ) جميعَ مشاهده وكان من اجتهادهَ في مرضاة الله وطاعة رسوله وآثاره الحسنة في الإسلام ما قد بلَغكُم،ولم يزلْ رسولَ الله (ﷺ) راضياً عنهَ حتى غمّضه بيده، وغسّله وحدَه، والملائكةُ أعوانُه، والفضلُ ابنُ عمه ينقلُ إليه الماءَ، ثم أدخلهُ حفرتَه، وأوصاه بقضاء دينه وعداته، وغير ذلك من أموره كلُّ ذلك من منَن الله عليه ثم والله ما دعا إلى نفسه ولقد تداكَّ الناسُ(1) عليه تداكَّ الإبلِ الهيمِ(2)عند ورودها، فبايعوه طائعين»[2].

مما يثير الانتباه في قول الإمام الحسن (عليه السلام) الربط الواضح بين قوله وبين الآية الكريمة(أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) أن الله تعالى قد ربط إتمام نعمته على الخلق بموضوع ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، أي كما أن تحقق كمال الدين ارتبط بالولاية فإن إتمام النعمة أنيط بإعلانها من قبل رسول الله (ﷺ)، والمقصود بالنعمة جميع النعم، ظاهرها وباطنها مثل العدل والمساواة والاتحاد والأخوة والعلم والأخلاق والطمأنينة النفسية والروحية والحرية والإحساس بالأمن، وبعبارة موجزة جميع أنواع العطايا.

د- الفخر بالنسب الشريف:

لاشك في أنَّ الشرف كل الشرف، والعزة كل العزة، والفخر كل الفخر، بالقرب من الله، وحبّه سبحانه للعبد، ووضع القبول له في الأرض، وهذا الحب وهذا الشرف وهذا القبول لا يتأتى بالدعاوى الفارغة من الحقيقة، أو بمجرد الانتساب إلى الدين أو الانتساب إلى بيت النبوة، دون عمل صالح يقرب من الله ﴿ **فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَساءَلُونَ**﴾[3]. فإذا اجتمع إلى تقوى الله-تعالى- شرف الانتساب إلى البيت النبوي، فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، من هنا نجد اقوال الإمام الحسن (عليه السلام) في الفخر بالنسب الشريف في قوله:

«أيّها الناسُ أن أكيسَ الكيس التّقى وإنّ أحمقَ الحَمق الفجورُ[4]،وإنّكم لو طلبتم ما بين جابَلق(4) وجابرص[5] رجلاً جَدّهُ رسولُ الله (ﷺ) ما وجدتموه غيري وغيرَ أخي الحسين،وقد علمتم أنّ الله تَعالى هداكم بجدي محمد وأنقذكم من الضَلالة ورفعكم به من الجهالة وأعزّكم به بعدَ الذلّة وكثرّكم به بعد القلة،وإنّ معاويةَ نازعني على حق هو لي دونَه فنظرتُ صلاحَ الامة وقد كنتم بايعتموني على أن تسالموا مَنْ سالمتُ وتُحاربوا مَنْ حاربتُ وإنّ معاويةَ واضعُ الحرب بيني وبينه وقد بايعتُه ورأيت أنَّما حَقْنَ الدماء خيرٌ منْ سَفْكها ولمْ أردْ بذلك الا صلاحَكم وبقاءَكم وأنْ أدري لعلّهُ فتنةٌ لكم ومتاعٌ إلى حينٍ»[6].

المبحث الثاني

الدراسة الفنيّة

لاحظ الباحث كثرة المظاهر الفنية التي احتوى عليها كلام الإمام الحسن (عليه السلام)، وقد تنوعت تلك المظاهر الفنية، والدراسة الآتية تحاول أن تشير إلى بعض تلك المظاهر وكما يلي:

أولاً: ظاهرة التناص القرآني في أحاديث الإمام الحسن (عليه السلام):

الإمام الحسن بن علي (عليهما السلام) يعتبر من أهم منابع الثقافة الإسلامية ومصادر الفكر الخلّاق الموروث من آل بيت النبوة فكلامه سلام الله عليه قمة في البلاغة والفصاحة وكيف لا يكون كذلك وقد نشأ في بيت زقَ العلم زقا منه صدرت البلاغة وآبت أليه الفصاحة كما يقول أميرها وقائدها (عليه السلام) (وإنّا لأمراء الكلام وفينا تنشبت عروقه وعلينا تهدلت غصونه)[7].

ويلاحظ المتتبع لأحاديث الإمام (عليه السلام) كثرة الإشارات

---

(1) ينظر موقع السيد الشيرازي، الشبكة العالمية للانترنت.

(2) شرح النهج:14/11-12،بحار الأنوار:32/88-89، ومعنى تداك تدافع، والإبل الهيم هي الإبل الظماء، ينظر لسان العرب لابن منظور.

(3) المؤمنون: 101

(4) جابلق: مدينة بأقصى الغرب وأهلها من ولد عاد، ينظر: معجم البلدان:105/2.

(5) جابرص: مدينة بأقصى المشرق يقول اليهود، إن أولاد موسى(عليه السلام)هربوا إليها في حرب طالوت، ينظر:معجم البلدان:105/2.

(6) ينظر الفصول المهمة في معرفة الأئمة:732،بحار الأنوار:65/44.

(7) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 12/13. تنشبت العروق: علقت وثبتت، والمراد من العروق الأفكار العالية والعلوم السامية.

القرآنية الواردة فيها، وقد تنوعت تلك الإشارات بين تضمين نص قرآني على شكل شاهد يستفيد منه الإمام في دعم حجته على خصمه خاصة وانه عاش في عصر كثرت فيه الفتن والصراعات، واختلفت الفرق والمذاهب وكان بعض هذه الفرق يتخذ من القرآن الكريم وسيلة للاحتجاج والدفاع عن آرائه، في سبيل تضليل الرأي العام أحيانا، ومحاولة سحب الناس وصرفهم عن الالتحاق بالإمام، وتشتيت الرأي العام خاصة من قبل السلطة الحاكمة التي لم تدخر جهداً إلاّ وبذلته في سبيل الحفاظ على كرسي الحكم، لأنهم يعلمون جيداً - أي الحكام- أن الإمام الحسن (عليه السلام) هو الوريث الشرعي للخلافة.

وفيما يلي نحاول أن نتناول التناص القرآني في أحاديث الإمام من خلال تقسيمه إلى فقرات تتناول كل فقرة منها شكلا من اشكال التوظيف القرآني وكما يلي:

1- التضمين القرآني:

شاع هذا النوع في أحاديث الإمام (عليه السلام) وفي كل مرة كان له دلالة خاصة وموقف خاص يكشف عنه قوله (عليه السلام):

«نحنُ حزبُ الله الغالبون وعترةُ رسوله الأقربون وأهلُ بيته الطيبون الطاهرون، وأحد الثقلين اللذين خلّفهما رسولُ الله (صلى الله عليه وآله) في أمته والثاني كتاب الله فيه تفصيل كلِّ شيء، لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا مِنْ خلفه فالمعوّلُ علينا في تفسيره، لا نتنظى تأويله، بل نتيقن حقائقه، فأطيعونا، فإنّ طاعتنا مفروضةٌ اذا كانت بطاعة الله (عز وجل) ورسوله مقرونة قال الله (عز وجل): ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا أَطيعُوا اللهَ وَأَطيعُوا الرَّسُولَ وَأُولي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾»[1].

2 - احتواء مضمون النص القرآني:

لعل المتمعن في كلام الإمام الحسن (عليه السلام) يجد انه يستفيد كثيرا من مضمون النصوص القرآنية ليحيل هذا المضمون إلى معاني يوظفها كل حسب الموضوع الذي يتحدث عنه ومن تلك الصور قوله (عليه السلام):

«أما بعدُ فانَّ الله كتب الجهادَ على خلقه وسمّاه كُرهاً ثم قال لأهل الجهاد من المؤمنين واصبروا إن الله مع الصابرين فلستم أيها الناسُ نائلين ما تُحبون الا بالصبر على ما تكرهون إنّه بلغني أنّ معاويةَ بلغه إنّا كنا أزمعنا على المسير إليه فتحرك لذلك فاخرجوا، رحمكم الله....»[2].

فالإشارة واضحة إلى مضمون الآية المباركة: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[3]، وقد وفق الإمام في طريقة التضمين.

ثانيا: التصوير البياني في كلام الإمام الحسن (عليه السلام):

عرف عن أهل البيت (عليهم السلام) مهاراتهم الكلاميّة، وتمكنهم من اللغة، وسرعة بديهتهم، وقدرتهم على الإجابة السريعة المسكتة، وما ذلك إلاّ فضل من الله تعالى، فهو الذي منحهم هذه القدرة البارعة على إنتاج كلام بليغ فني، ويعد كلام الإمام الحسن من ضمن هذا الكلام الذي اشتمل على صور بيانية نحو قوله:

"ما بقي في الدنيا بقية غير هذا القرآن فاتخذوه إماما يدلكم على هداكم، وإن أحق الناس بالقرآن من عمل به وإن لم يحفظه، وأبعدهم منه من لم يعمل به وإن كان يقرأه ".

فالتصوير الفني هنا يتمثل في توظيف التشبيه الضمني في وصفه للقرآن الكريم «اتخذوه إماماً» فقد شبه القرآن بالإمام والقائد الذي يقود نحو الهداية والخير وكلا طرفي التشبيه حسيّان القرآن والإمام القائد.

وفي نص آخر استطاع الإمام فيه أنْ يستعمل أسلوب الاستعارة وسيلة لنقل الصورة البيانية وذلك في قوله:

"وقال (عليه السلام): إن هذا القرآن يجيء يوم القيامة قائدا وسائقا يقود قوما إلى الجنة أحلوا حلاله وحرموا حرامه وآمنوا بمتشابهه، ويسوق قوما إلى النار ضيّعوا حدوده وأحكامه واستحلّوا محارمه".

فالملاحظ في هذا النص أن الإمام استعار للقرآن صفات العاقل والمدرك وهي صفة القيادة فهو الذي يقود الناس إلى الجنة إن هم التزموا بتعاليمه وفي المقابل هو الذي يسوقهم إلى النار إن هم خالفوه.

ومن إبداعه (عليه السلام) في خطبته لاستنفار الناس لمعركة صفين ودعوتهم إلى الجهاد بقوله «....فاحتشدوا في قتال عدوكم معاويةَ وجنوده فإنه قد حضر، ولا تخاذلوا فانّ الخذلانَ يقطعُ نياطَ القلوب، وإنّ الإقدامَ على الأسنة نجدةٌ وعصمةٌ، لأنه لم يمتنع قومٌ قطُّ إلا رفعَ اللهُ عنهم العلةَ، وكفاهم جوائحَ الذلةِ، وهداهم إلى معالمِ الملّةِ...»[4].

لقد استعار الإمام هنا صفة القطع التي تطلق على الآلات الحادة كالسيف أو غيره على الخذلان وهو شيء معنوي.

وقال أيضاً:

---

(1) الأمالي - للشيخ المفيد:349، والآية 59 من سورة النساء.

(2) مقاتل الطالبين: 39.

(3) - سورة الأنفال: آية 46.

(4) وقعة صفين: 113 - 114، وينظر: شرح النهج - لابن أبي الحديد: 3 /185، بحار الأنوار: 32

"اللّهمّ يا من جعل بين البحرين حاجزاً وبرزخاً وحجراً محجوراً يا ذا القوّة والسّلطان، يا عليّ المكان، كيف أخاف وأنت أملي وكيف أضام وعليك متّكلي، فغطّني من أعدائك بسترك وأظهرني على أعدائي بأمرك، وأيدني بنصرك، إليك ألجأ ونحوك الملتجأ فاجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً ".[1]

فالإمام هنا يستعير الستر للغطاء وهو يقصد التخفي عن الأعداء بالقدرة والقوة الربانية.

ثالثا: مظاهر البديع في كلام الإمام الحسن (عليه السلام)

ا- حسن التقسيم:

التقسيم من الأساليب العربية العريقة وقد تحدث علماء البلاغة عن تمام التقسيم فقال قدامة بن جعفر "هو أن يؤتى بالأقسام مستوفاة لم يخلّ بشي منها ومخلصة لم يدخل بعضها في بعض"[2]، وقال: "وصحة التقسيم أن توضع معان يحتاج إلى تبيين أحوالها فإذا شرحت أتي بتلك المعاني من غير عدول عنها ولا زيادة عليها ولا نقصان منها"[3].

فمثاله:

"إن المسألة لا تحلّ إلا في إحدى ثلاثٍ: دمٍ مفجع، أو دينٍ مقرحٍ، أو فقرٍ مدقعٍ."[4]

قال الجوهري قطع بفلان فهو مقطوع به، وانقطع به فهو منقطع به إذا عجز عن سفره من نفقة ذهبت، أو قامت عليه راحلته، أو أتاه أمر لا يقدر على أن يتحرك معه. انتهى وفي بعض النسخ "دم مقطع" والظاهر تصحيفها عن المفظع أي الشديد الشنيع وفي كتب العامة عن أنس عن النبي "لذي دم موجع" أي لشخص استحق القصاص مكافئا عمدا فهو ذو - دم موجع أي إذا قتل قصاصا حصل له وجع شديد فإذا عفى عنه على الدية وسأل الناس مالا يدفعه في ذلك كان سؤاله والدفع إليه من أكمل الطاعات ويليه من وجبت عليه الدية لخطأ أو شبه عمد. والغرم - بضم المعجمة - القرض. والمدقع بالدال المهملة والقاف أي شديد يفضى بصاحبه إلى الدقعاء وهو اللصوق بالتراب، وقيل هو سوء احتمال الفقر.

ب - حسن الابتداء:

قال بعض الكتاب: احسنوا معاشر الكتاب الابتداءات فإنهن دلائل على البيان[5]، ومن الطبيعي انهم وضعوا مثل هذه الأهمية لبداية الكلام لان الابتداء الحسن يلفت نظر السامع إلى فحوى الموضوع المطروق ويؤثر فيه والأمثلة على ذلك كثيرة في كلام الإمام الحسن (عليه السلام) فقد كان يبدأ كلامه بالحمد لله، لان شكر الله وثناءه داعية للاستماع ومن ذلك قوله (عليه السلام):

"«الحمدُ لله العزيزِ الجبارِ،الواحد القهارِ، الكبيرِ المتعالِ ﴿سَواءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهارِ﴾[6]،أحَمدُه على حسنِ البلاءِ وتظاهرِ النعماءِ،وعلى ما أحبَبْنا وكَرِهنا من شدةٍ ورخاءٍ،واشهدُ أنْ لا الهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ، وأنّ محمداً عبدُهُ ورسولُه،امتنَّ علينا بنبوتِه، واختصّه برسالتِه وأنزل عليه وحَيه، واصطفاه على جميعِ خلقه، وأرسله إلى الأنس والجن،حين عبدت الأوثان، وأطيعَ الشيطانُ وجُحِد الرحمنُ،و(ﷺ) وجزاه أفضلَ ما جزى المسلمين»"[7].

ب- الجناس:

هو إيراد لفظتين متشابهتين في النطق ومختلفتين في المعنى، وهو على أنواع منه الجناس التام والجناس الناقص وأكثر ما ورد في كلام الإمام هو الجناس الناقص الذي حدث فيه اختلاف في لفظته وعدد حروفه، وأحيانا يكون الاختلاف في نوع الحروف وهيئتها وترتيبها ومثاله قوله (عليه السلام):

"وحرست ما حرسه أوليائي من أمر آخرتي ودنياي فكنت ككظمهم أكظم وبنظامهم أنتظم ولطريقتهم أتسنّم وبميسمهم أتّسم، حتى يأتي نصرك وأنت ناصر الحقّ"[8].

ومثاله أيضاً:

"اللّهمّ هيّج لنا السّحاب بفتح الأبواب بماء عباب، ورباب بانصباب وانسكاب يا وهّاب، واسقنا مطبقةً مغدقةً مونقةً، فتّح إغلاقها وسهّل إطلاقها وعجّل سياقها بالأندية والأودية يا وهّاب بصوب الماء يا فعّال، اسقنا مطراً قطراً طلاً مطلاً طبقاً عاماً معمارهما بهما رحيماً رشاً مرشاً، واسعاً كافياً عاجلاً طيباً مباركاً، سلاطح بلاطح يناطح الأباطح، مغدودقاً مطبوبقاً مغرورقاً"[9].

فالملاحظ في هذا النص كثرة الجناس في ألفاظ (عباب ورباب وانصباب وانسكاب وهاب) وفي قوله (مطبقه ومغدقة

---

(1) مهج الدعوات: ١٤٤

(2) جواهر الألفاظ:5

(3) جواهر الألفاظ: 6

(4) الخصال: 135.

(5) كتاب الصناعتين:82.

(6) الرعد: 10

(7) جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة:293/1.

(8) مهج الدعوات: 47.

(9) من لا يحضره الفقيه: محمد بن علي الصدوق ص 140

ومونقة) و(الأندية والأودية) و(طلا مطلا) و(رشا مرشا) و(سلاطح بلاطح) و(يناطح الاباطح).

رابعاً: مظاهر المعاني في أحاديثه الشريفة:

تنوعت أساليب المعاني في أحاديث الإمام الحسن (عليه السلام) ويحاول البحث الإشارة إلى نماذج من تلك المظاهر المتعلقة بعلم المعاني وتوظيف فنونه المختلفة وكما يلي:

ا- أسلوب الخبر:

المتتبع لكلام الإمام (عليه السلام) يلاحظ انه استعمل أسلوب الخبر في كلامه وقد تنوعت هذه الأخبار حسب سياق الكلام والموقف الذي وردت فيه تلك الأخبار فمرة يستعمل الخبر الابتدائي ومرة نجده يستعمل الخبر الطلبي ومرة ثالثة يستعمل الخبر الإنكاري وكما يلي:

1-الخبر الابتدائي:

ورد استعمال هذا الخبر عند الإمام (عليه السلام) في كلامه الذي كان عبارة عن تأمل في الحياة الدنيا، هذا الكلام الذي يراد منه أخذ العبرة من عدم دوام حال هذه الدنيا وأنّها تنتقل بالإنسان من حال إلى حال فالكلام هنا أشبه بالرسالة الصالحة لكل مكان ولكل زمان وجاء هذا النوع من الكلام خاليا من أي مؤكدات وكما ورد في قوله (عليه السلام):

"عفت الديار، ومحيت الآثار، وقلّ الاصطبار، فلا قرار على همزات الشياطين وحكم الخائنين"[1].

فالكلام هنا جاء حسب مقتضى الحاجة، لان ذهن المتلقي لهذا الكلام يكون خاليا من أي معلومة مسبقة لذا لا يحتاج ان يؤكد الكلام.

2-الخبر الطلبي:

وفي هذا النوع من الأخبار استعمل الإمام (عليه السلام) طريقة التوكيد لان متلقي هذا الخبر إما شاك أو متردّد لذلك وحتى يتم رفع هذا الشك أو التردد جاء التوكيد كي يعزز الكلام ويقويه ومن ذلك قوله (عليه السلام):

"الساعة والله صحّت البراهين، وفصّلت الآيات وبانت المشكلات، ولقد كنا نتوقّع تمام هذه الآية تأويلها، قال الله عز وجلّ: (وما محمد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً، وسيجزي الله الشّاكرين)."

لقد استعمل الإمام أسلوب القسم بلفظ الجلالة (الله) كي يقوي الخبر، لان المسالة تتعلق بمدى ثبات الإيمان في نفوس البعض أو عدم رسوخه وان الموت حق وان البعث حق وان دين محمد حق وانه باق إلى يوم القيامة.

ومنه قوله (عليه السلام):

"فلقد مات والله جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقتل أبي (عليه السلام)"[2].

وفي نص آخر استعمل فيه الإمام الخبر الطلبي في قوله:

"إنّ الله كتب الجهاد على خلقه وسمّاه كرهاً، ثم قال لأهل الجهاد من المؤمنين: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾"[3].

فالخبر هنا جاء معززا بأداة التوكيد (إنّ) لكي يرفع الشك عمن يرى أن الجهاد ليس فريضة واجبة يجب أن يؤديها المسلم في أوقات خاصة ومعلومة، لهذا كان التوكيد ضرورة مهمة من ضرورات كلامه الشريف.

3-الخبر الإنكاري:

وفي هذا النوع من الأخبار يأتي الكلام مؤكدا بأكثر من مؤكد واحد لان متلقي هذا الخبر منكر، فيحتاج الكلام إلى أكثر من مؤكد حتى يرتفع هذا الإنكار نحو قوله (عليه السلام):

"وإنّك أنت السّميع العليم، الأحد البصير، وأنت الله المستعان وعليك التّوكّل"[4].

لقد استعمل الإمام (عليه السلام) أداة التوكيد (إنّ) والضمير (أنت) وكل هذا لأنه يعرف جيدا أن البعض لا يقر بان الله – حاشا لله – هو السميع العليم، فجاءت تلك المؤكدات لترفع وتزيل هذا الإنكار من تلك النفوس.

ومثاله أيضاً:

"أيّها الناس تيقّظوا من رقدة الغفلة، ومن تكاثف الظّلمة، فو الذي فلق الحبّة، وبرأ النسمة، وتردّى بالعظمة، لئن قام إليّ منكم عصبة بقلوب صافية، ونيّات مخلصة، لا يكون فيها شوب نفاق، ولا نيّة افتراق، لأجاهدنّ بالسيف قدماً ولأضيقنّ من السيوف جوانبها، ومن الرّماح أطرافها، ومن الخيل سنابكها، فتكلّموا رحمكم الله."[5].

فالنص هنا يحتوي على مؤكدات كثيرة تبدأ بالقسم وتنتهي بأدوات التوكيد منها لام القسم و(إن) التوكيد وغيرها، والسبب هو أهمية هذا الكلام بالنسبة للإمام ومعرفته أنّ الطرف الآخر ينكر قوله ولا يحمله على محمل الجد لهذا راح الإمام يعزز الكلام بكثرة المؤكدات.

---

(1) بحار الأنوار 53/3، – شرح ابن أبي الحديد، ج 4 / ص / 13

(2) شرح ابن أبي الحديد، ج 4 / ص / 13

(3) شرح النهج، ج16 ص227.

(4) تحف العقول:157

(5) بحار الأنوار: 234/12

فنون الإنشاء الطلبي:

وظف الإمام الحسن (عليه السلام) أنواع مختلفة من أساليب الإنشاء الطلبي في كلامه الشريف وكان في كل مرة يأتي هذا التوظيف بطريقة مغايرة وكانت تهدف إلى إحداث معنى مؤثر على شكل نصيحة تربوية أو غاية اجتماعية سامية يقدمها الإمام للأجيال القادمة وكما يلي:

أ- النداء:

وهو طلب توجه المخاطب إلى المتكلم بحرف يفيد معنى (أنادي)، وهو أسلوب بلاغي استعمل كثيرا في كلام العرب وقد ورد استعماله في كلام الإمام (عليه السلام) في قوله:

"يا أخاه لا تحزن عليّ فإن مصابك أعظم من مصيبتي ورزءك أعظم من رزئي"[1].

فالنداء هنا موجّه إلى أقرب الناس للإمام وهو الحسين (عليه السلام) ويلاحظ المتمعن الأسلوب الرقيق المشحون بعاطفة الحزن الأليم لما يؤول إليه مصير الإمام (عليه السلام) فهو هنا يتحدث عن أمر غيبي سوف يحصل لا محالة كما أننا نلاحظ أن الإمام جعل للبعيد أدوات القريب باستعماله (ياء) النداء، إشارة إلى انه في نفس المتكلم فهو كالقريب منه وكأنه نفسه.

"يا بني لا تؤاخ أحداً حتى تعرف موارده ومصادره، فإذا استنبطت الخبرة ورضيت العشرة، فآخيه على إقالة العثرة، والمواساة في العسرة"[2].

نلاحظ في هذا النص أن الإمام استعمل ياء النداء والخطاب موجه إلى ابنه واستعماله الياء للدلالة على قربه من نفسه ومن خلال هذا الأسلوب استطاع الإمام أن يوجه رسائل اجتماعية تربوية مفيدة للأجيال القادمة تتعلق بالعشرة الحسنة والضوابط الأخلاقية.

وفي نص آخر يستعمل الإمام أداة أخرى للنداء هي (أيّ) وهي تستعمل عادة لنداء البعيد كما في قوله:

"أيّها الناس تيقّظوا من رقدة الغفلة، ومن تكاثف الظّلمة"[3].

فالإمام يريد أن يقول أن هؤلاء الناس بعيدون عن الانتباه وعليهم أن يتيقظوا من رقدة الغفلة لينتبهوا جيدا إلى ما ينتظرهم في آخرتهم.

ب- الأمر:

الأصل بالأمر هو طلب حصول الفعل من المخاطب على سبيل الاستعلاء إلا أن أسلوب الأمر قد يخرج إلى معانٍ مجازية تفهم من سياق النص الذي يرد فيه ومن الأمثلة التي وردت في كلام الإمام الحسن (عليه السلام) قوله:

"اللّهمّ هيّج لنا السّحاب بفتح الأبواب بماء عباب، ورباب بانصباب وانسكاب يا وهّاب، واسقنا مطبقةً مغدقةً مونقةً، فتّح إغلاقها وسهّل إطلاقها وعجّل سياقها بالأندية والأودية يا وهّاب بصوب الماء يا فعّال، اسقنا مطراً قطراً طلاً مطلاً"[4].

لقد ورد الأمر هنا بصيغة فعل الأمر (هيّج) وهو هنا أمر مجازي لأنه صادر من الأدنى إلى الأعلى، وقد خرج الأمر هنا إلى غرض الدعاء فالإمام هنا يدعو الباري عز وجل ان يعم الخير على البلاد من خلال السحاب الممطرة، كذلك في قوله (اسقنا)وتتوالى الأوامر المجازية في قوله (فتّح وسهّل وعجّل) وكلها أوامر مجازية يراد منها الدعاء.

ج- النهي:

أصل النهي هو طلب المتكلم من المخاطب الكف عن الفعل على سبيل الاستعلاء، وقد يخرج لمعانٍ مجازية، وفيما يخص كلام الإمام الحسن (عليه السلام) فقد ورد استعمال هذا الأسلوب في قوله:

"لا تأت رجلاً إلاّ أن ترجو نواله، أو تخاف بأسه، أو تستفيد من علمه، أو ترجو بركته ودعاءه، أو تصل رحماً بينك وبينه"[5].

لقد استعمل الإمام طريقة (لا+ فعل المضارع)في قوله (لا تأت) فهو هنا ينهى عن قضية مهمة جدا تتعلق بكرامة الرجل ومروءته وهي أغلى ما عند الرجال، لقد أراد الإمام أن يوصل رسالة مفادها أنّنا يجب أنْ نتمعن جيدا في طلب الحاجة من الرجال الذين هم أهل لهذا الطلب كي لا يريق الواحد منا ماء وجهه وقد حدد الإمام الحالات الاستثنائية وهي نوال العطاء أو الخوف من البأس أو طلب العلم أو نوال البركة أو إصلاح ذات البين.

وقوله (عليه السلام):

"لا تؤاخ أحداً حتى تعرف موارده ومصادره، فإذا استنبطت الخبرة، ورضيت العشرة، فآخه على إقالة العثرة، والمواساة في العسرة"[6].

وهنا يركز الإمام على قضية المؤاخاة وشروط تلك المؤاخاة التي تنبني على فكر تربوي كبير يحمله الإمام فهو يقدم النصيحة للأجيال أنه علينا أن نتحرى عن مصادر أموال

(1) ناسخ التواريخ، ميرزا محمّد تقي سپهْر، المعروف بـ لسان المُلْك:78.
(2) الكافي ج 1 – ص 301 – 302
(3) بحار الأنوار:23
(4) من لا يحضره الفقيه: محمد بن علي الصدوق ص 140.
(5) البحار ج 17 – ص 206
(6) البحار ج 17 – ص 206

الشخص وأن لا ننخدع بالمظاهر لأنه ربما تكون مصادر هذه الأموال غير شرعية، ومن ثم فان الإمام وضع ضوابط للعشرة تتعلق بإقالة العثرة والمواساة في العشرة.

ج- الاستفهام:

هو طلب الفهم والعلم بالشيء في أصل وضعه إلا أن الاستفهام يخرج إلى معاني مجازية كثيرة تفهم من سياق الكلام، والاستفهام له أدوات معلومة منها الهمزة وهل وغيرهما من الأدوات وقد يخرج الاستفهام إلى معاني مجازية تفهم من سياق الكلام[1] وهو ما حصل في كلام الإمام (عليه السلام) في قوله:

"أنا ابن من ساد قريشاً شاباً وكهلا، أنا ابن من ساد الورى كرماً ونبلاً، أنا ابن من ساد أهل الدّنيا بالجود الصّادق، والفرع الباسق والفضل السّابق، أنا ابن من رضاه رضا الله وسخطه سخطه، فهل لك أن تساميه يا معاوية؟"[2].

نلاحظ أن الاستفهام هنا استفهام مجازي ينطوي على معنى التحقير والتعجيز لمعاوية لأنه من المستحيل أنْ يصل معاوية إلى نسب الإمام الحسن (عليه السلام).

أسلوب القصر:

القصر في اللغة يعني الحبس، قال تعالى: "﴿**حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ**﴾ أي محبوسة فيها.

أما القصر في الاصطلاح: هو تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص، وذلك كتخصيص المبتدأ بالخبر بطريق النفي في قوله تعالى " وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور"[3].

أما ما يخص أحاديث الإمام الحسن (عليه السلام) فقد ورد فيها هذا الأسلوب البلاغي في قوله (عليه السلام): "ما كان معاوية بأبأس مني بأسا وأشد شكيمة، ولكان رأيي غير ما رأيتم ولكني اشهد الله وإياكم إني لم أرد بما رأيتم إلاّ حقن دمائكم وإصلاح ذات بينكم"[4].

لقد استعمل الإمام في هذا النص طريقة النفي والاستثناء في قوله (لم أرد بما رأيتم إلاّ حقن دمائكم) وكانت الغاية التأكيد على موقف الإمام من الصلح لأنها قضية شغلت الرأي العام وأثارت الكثير من التساؤلات، لهذا ركز الإمام وقصره على قضية حقن دماء المسلمين وهي مسالة في غاية الأهمية.

(1) ينظر الطراز: **76/2**.
(2) المناقب ج**4** ص**12**.
(3) الآية **185**من سورة آل عمران
(4) الإمامة والسياسة: **141- 142**.

وفي خطاب موجّه إلى معاوية قال الإمام الحسن: "ويلك يا معاوية إنّما الخليفة من سار بسيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعمل بطاعة الله"[5].

هنا يستعمل الإمام أسلوبا آخر من أساليب القصر يتمثل باستعمال أداة القصر (إنّما) لأنه أراد أنْ يوصل رسالة بليغة مؤثرة تتعلق بالخلافة وهو هنا يعرض اشد التعريض بمعاوية لأنه خالف السيرة النبوية الشريفة ولم يعمل بطاعة الله إنّما عمل بطاعة الشيطان.

السجع:

هو استعمال الفاصلتين في الكلام على حرف واحد، وينقسم السجع باعتبار توافق الفواصل إلى المطرف والمتوازي والترصيع وقد ورد استعمال النوع الثاني في كلام الإمام (عليه السلام) في قوله:

"ضلّت فيك الفهوم، وتقطّعت دونك العلوم. أنت الله الحيّ القيوم، الدائم الديموم، قد ترى ما أنت به عليم، وفيه حكيم، وعنه حليم"[6].

إذ أننا نلاحظ استعمال (الفهوم، والعلوم، والقيوم، والديموم) واستعمال النوع الثالث في نفس الكلام في قوله (عليم، وحكيم، وحليم) وهي فواصل تتفق أكثرها في الوزن، ولاشك في أن القارئ يلمس قوة في هذا الأسلوب فضلا عن جماله مما أضفى عليه روعة في البيان وقوة تأثير بالخطاب.

الخاتمة:

1-يعزز البحث الرأي الذي يرى أن أهلُ البيت (عليهم السلام) السبّاقون إلى التحدث في علوم القرآن الكريم من: تفسيره وتبيان مقاصده، وتعليم مفاهيمه للناس وبيان ما يرتبط به من شؤون، فضلا عن الكشف عن الوجوه البلاغية المعجزة فيه من خلال استنباط المعاني الشريفة.

2-قامت دراسة "التصوير البياني في كلام الإمام الحسن (عليه السلام) على استقصاء المعاني التي أجرَى فيها الإمام ألوانَ البيان المختلفة من تَشبيه، واستعارة، وكناية، وجمعها بعد تحديدها، مع ذِكر نماذج لأكثرِها، والعناية باختيار النماذج التي تبرزُ مذهبَه البياني، وتحليلها، والموازنة بينها، واستخلاص الفروق لربطها بسِياق الخطبة العام.

3-لاحظ البحث تركيز الإمام الحسن (عليه السلام) على منظومة القيم والأخلاق التربوية الفاضلة التي يجب أنْ يتحلى بها

(5) تحف العقول: **167**.
(6) مهج الدعوات: **297**. بحار الأنوار: **10 / 95**

الإنسان من خلال ربطها بتعاليم الدين الإسلامي.

4-أظهر البحث أهمية كلام أهل البيت ومنهم الإمام الحسن وضرورة أن تسلّط أقلام الدارسين على هذا النوع من الكلام البياني الرفيع، لأنه يشكل مادة غنية لا يمكن تجاوزها.

5-أشار البحث إلى أن خطب وأحاديث ووصايا الإمام تشكل مرحلة من مراحل تطور النثر العربي القديم وان هذا النوع من النثر كان يمثل صورة صادقة للبيئة التي عاش فيها الإمام (عليه السلام).

وأخيراً الحمدُ لله الذي هَدانا لهذا، وما كنَّا لنهتدي لولا أنْ هدانا الله، وأُصلِّي وأُسلِّم على أفضل خلقِ الله أجمعين، والمبعوث رحمةً للعالمين، سيدِ البلغاء والفُصَحاء، سيِّدنا محمد، وعلَى آله وأصحابه، والتابعِينَ لهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين.

قائمة المصادر:

القرآن الكريم

1-آداب الأكل، محمد زغلول بن علي زغلول الأنباني، طبعة القاهرة.

2-أسد الغابة،في معرفة الصحابة، لابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1994م.

3-أصول الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، دار المرتضى.

4-الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني،تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ

5-الأمالي للشيخ المفيد، دار التيار الجديد، (د.ت).

6-الإمامة والسياسة، لابن قتيبة الدنيوري،تحقيق: محمد محمود الرافعي طبعة مصر، 1904م.

7-بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار - للعلامة محمد باقر المجلسي (ت1110هـ)- تح - محمد الباقرالبهبودي- الناشر مؤسسة الوفاء- بيروت - لبنان- ط2 -1983م.

8-البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي،تحقيق الدكتورة وداد القاضي، دار صادر بيروت.

9-البيان والتبيين - لأبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ (ت255هـ) - تح - عبد السلام محمد هارون - مكتبة الخانجي - مصر - ط2 - 1380هـ - 1960م.

10-تحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليه وآله) - للشيخ الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني (من أعلام القرن الرابع الهجري) - تح - علي أكبر غفاري - مؤسسة النشر الإسلامي - قم - ط2 - (د.ت)

11-التشيع والاستشراق

12-التصوير الفني في خطب الإمام الحسن (عليه السلام)، عقيل عبد الحسين، الكوفة، 2010م

13-تفسير الطبري، تحقيق الدكتور عبد الله التركي، هجر للطباعة والنشر.

14-تفسير فرات الكوفي،فرات بن إبراهيم الكوفي(ت 352 هـ) تح- محمد عبد الكاظم - مؤسسة الطبع والنشر - طهران - ط1-1410هـ -1990م

15-جامع السعادات، الشيخ المولى محمد مهدي النراقي، انتسارات إسماعليان، الطبعة السابعة، 1428هـ

16-جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة - أحمد زكي صفوت - المكتبة العلمية - بيروت - لبنان (د.ت)

17-جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع - احمد الهاشمي طبعة مجددة - إشراف - صدقي محمد جميل - مؤسسة الصادق للطباعة والنشر - طهران - ط1 - 1379 هـ

18-خصائص الأئمة (عليهم السلام) - لأبي الحسن محمد بن الحسين بن موسى الشريف الرضي (ت 406 هـ) - تح - محمد هادي الأمين - مشهد - إيران - 1406 هـ

19-الخصال للشيخ الصدوق، تحقيق علي أكبر غفاري، طهران، 1403هـ

20-رسائل الجاحظ تحقيق: الدكتور محمد طه الحاجري، دار النهضة العربية،1982م.

21-روضة الواعظين- محمد بن الفتال النيسابوري(ت508هـ)- تح - سيد محمد مهدي حسن الخرساني- منشورات الرضي- قم- إيران (د.ت)

22-الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن (عليه السلام)،

23-سنن الترمذي (الجامع الصحيح) - لأبي عيسى محمد بن سورة الترمذي (ت297هـ) - تح - محمود حسن نصار - منشورات محمد علي بيضون - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط1 - 1421 هـ

24-شرح نهج البلاغة -لابن أبي الحديد المعتزلي (ت656هـ) - تح-محمد أبو الفضل إبراهيم - دار إحياء الكتب العربية - 1379هـ -1959م

25-الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز – السيد يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي (ت749 هـ)- تح – محمد عبد السلام شاهين – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط1 – 1415 هـ - 1995م

26-الفصول المهمة في معرفة الأئمة – علي بن محمد بن أحمد المالكي المكي المعروف بابن الصباغ (ت855هـ) تح – سامي الغريري – ط1-1422هـ- دار الحديث قم.

27-كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) – لأبي هلال الحسن بن عبد الله سهل العسكري (ت395هـ) – تح – مفيد قميحة – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط2 – 1989.

28-المحاسن والأضداد، للجاحظ طبعة الخانجي، سنة 1324 هـ

29-المحاسن والمساوئ،محمد بن إبراهيم البيهقي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف.

30-مقاتل الطالبيين – لأبي الفرج الأصفهاني (ت356هـ)-تح- كاظم المظفر-منشورات المكتبة الحيدرية – النجف الأشرف – ط2-1385هـ1965م.

31-مهج الدعوات ومنهج العبادات، علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسيني، قدم له وعلق عليه: الشيخ حسين الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة: الأولى المصححة 1994.

32-مناقب آل أبي طالب – أبو جعفر رشيد الدين محمد بن علي بن شهر آشوب (ت588هـ)- تح – لجنة من أساتذة النجف الأشرف-1376هـ-1956م – نشر – المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف.

33-من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، أشرف على تصحيحه والتعليق عليه: العلامة الشيخ حسين الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة: الأولى 1986.

34-وقعة صفين- نصر بن مزاحم المنقري (ت212هـ) تح – عبد السلام محمد هارون – المؤسسة العربية الحديثة للطبع والتوزيع- مطبعة المدني- القاهرة-ط2-1382هـ